هجـرة اليهـود السوفيـات

(الخلفيات والوقائع والتطوّرات)

هشام الدجاني

مع بداية السبعينات، وازاء تفاقم أزمة الهجرة وتنامي ظاهرة الهجرة المضادة، شرعت الدوائر الصهيونية المسؤولة في البحث عن موارد جديدة للهجرة. كان أكبر مواطن الطوائف اليهودية موجوداً في الولايات المتحدة والقارة الاميركية؛ وكان ثانيها موجوداً في الاتحاد السوفياتي وبعض دول أوروبا الشرقية؛ وكان ثالثها، سعة وتعداداً، موجوداً في أوروبا الغربية. ولمّا كانت صنابير الخزانين، الأول والثالث، شبه مغلقة في الوقت الحاضر، وهي غير مهيّأة لأن تُفتح قسراً، لاعتبارات تتعلق بطبيعة المجتمعات الغربية وسياساتها القائمة، من جهة، والظروف الموضوعية لليهود الاميركيين والأوروبيين، من جهة أخرى، من حيث الرفاهية النسبية والاندماج في هذه المجتمعات والشعور بالأمن، اضافة الى اعتبار ثالث، هو ان الدوائر الصهيونية نفسها ترى في وجود يهود اميركا وأوروبا الغربية في مجتمعاتهم أكثر فائدة للحركة الصهيونية واسرائيل، من حيث توفير أسباب الدعم السياسي، والاعلامي، والمادي، فقد توجّهت أنظار الصهيونية الى الخزان السوفياتي، الذي كان يضمّ، آنذاك، حسب أرجح التقديرات، قرابة مليونين و٨٠٠ ألف يهودي، موزّعين في عدد من جمهوريات الاتحاد السوفياتي، وخاصة في جمهوريتي روسيا البيضاء وأوكرانيا. وكان هذا الخزان، بالنسبة الى الدوائر الصهيونية المسؤولة عن الهجرة، مغرياً، لأكثر من سبب. فهو، أولاً، خزان هائل بالغ الاتساع؛ وثانياً، ثمّة رغبة لدى الكثيرين من اليهود السوفيات في الهجرة الى خارج البلاد، لاعتبارات متعددة، وهم في غالبيتهم من المهرة في مختلف الاختصاصات؛ وهو، ثالثاً، خزان اشكينازي، ومن شأن تدفّق اليهود السوفيات على اسرائيل أن يصحّح الخلل داخل المجتمع الصهيوني، بسبب تزايد عدد اليهود الشرقيين، وتزايد نفوذهم داخل البلاد.

اذن، مع بداية السبعينات، وعلى وجه التحديد في العام ١٩٧٢، شرعت الدوائر الصهيونية، والامبريالية، في حملة منظّمة ضد الاتحاد السوفياتي تحت شعار «اطلق شعبي»، مصوّرة عملية فتح أبواب الهجرة لليهود السوفيات عملية «انقاذ انسانية!»؛ ولم يكن خافياً ان تلك الحملة كانت تستهدف، عدا فتح أبواب الهجرة، اغراضاً سياسية ودعائية معادية للسوفيات.

لم تكن أبواب الهجرة أمام اليهود السوفيات مغلقة تماماً قبل ذلك التاريخ. فقد هاجر من الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية، في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٧٢، حوالى ٧٤ الف يهودي[١]. بيد ان معدّلات تلك الهجرة كانت محدودة، وبطيئة، ولم تكن تشكل رافداً قوياً لشريان الهجرة اليهودية، ولم تتخذ طابع الهجرة الجماعية المنظّمة الذي كانت ترنو اسرائيل اليه.